مجالات الدّراسة وحدُودها في البحوث السّوسيولوجية

بقلم: د. مراد بلخيري

جامعة عبد الحميد مهري قسنطينة2

ملخص:

يتناول هذا المقال بالتقصّي، التّحليل والنّقد بعض الجوانب المتعلّقة بتحديد وضبط مجالات وحدود الدّراسة، وذلك من منطلق بنائي وظيفي وكذا بِنيَوي.

تمّ تقسيم هذه الورقة البحثية إلى ثلاثة عناصر أساسية، الأوّل تحديد مجالات الدّراسة من خلال قراءة في المفاهيم، وكذا إبراز وظيفة المجالات في هيكلة البحث السوسيولوجي وفق الطريقة الكلاسيكية التي تمثّلها مدرسة شيكاغو، والثّاني وفق طريقة إمراد IMRAD والعنصر الثالث تمّ تخصيصه لعرض بعض النّماذج المختارة ونقدها بإبداء ملاحظات منهجية حولها.

الكلمات المفتاحية: مجالات الدّراسة، البحث الميداني، البّحث السوسيولوجي، طريقة شيكاغو، طريقة إمراد.

Abstract:

This article explores, analyzes and cries some aspects of identifying and adjusting the fields and boundaries of the study, both in terms of functional and structural structure.

This paper has been divided into three main elements, the first is to identify areas of study through a reading of concepts, and to highlight the function of the fields in structuring sociological research in the classical way represented by the Chicago School.

The second, according to the IMRAD and the third, was dedicated to showing some selected models and critiating them with methodological feedback.

Keywords: Fields of study, field research, psychological research, Chicago method, revenue method.

مقدمة:

يعتبر موضوع هذا المقال تقنيا بالدّرجة الأولى، وهو الأمر الذّي يحتّم علينا استذكار بعض الجوانب النّظرية التي تؤسّس للعمل الميداني، نتيجة التكامل المنهجي والوظيفي لمختلف مكوّنات العمل البحثي (تقرير، مذكّرة، رسالة أو أطروحة).

إنّ العمل الميداني له ضوابطه المنهجية والأخلاقية، فالباحث يكون دومًا ضمن نطاق محدّد تفرضه عليه بيئته، معارفه وسعة اطلاعه على الجوانب المعرفية التي تخص موضوعه، منطلقاته النّظرية التي وضعها كمحكّ لبحثه، فرضياته التّي تعمل عمل الموجّهات...إلخ، من عناصر بحثه التي تعمل في تساند وظيفي مع بعضها البعض، فكلّ جزء أو خطوة يؤسّس أو تؤسّس للخطوة التّي تليها؛ حيث لا يمكن أن يخرج عنها البحث وذلك وفقا للأهداف التي سطّرها من البداية استنادا على الواقع.

فالباحث بعدما يضبط موضوعه، يقوم بقراءات حوله، يحلّل ويضبط مفاهيمه، يجمع ما أمكنَه من معارف نظريّة حوله، يستطلع الميدان الذّي تتوافر فيه مؤشّرات المتغيّرات التّي تسمح له باختبار فرضياته التي يبنيها تأسيسا واستنادا على كلّ ما سبق، لتأتي مرحلة العمل الميداني، هذه الأخيرة لا تقلّ أهمّية أبدًا عن سابقاتها.

فبعد جمع الباحث للمعلومات النّظرية حول موضوعه، عادة ما يخرج للميدان قصد اختبار فرضيّاته، والسعي للتأكّد من صحّتها أو نفيها. والسّؤال المطروح هنا، والذّي ينبني عليه هذا المقال، هو: كيف يضبط أو يختار الباحث المجالات المختلفة لدراسته؟ وهل هناك طرق منهجية معيّنة لذلك؟ وما هي الأخطاء التّي تشيع بين الباحثين في علم الاجتماع في هذا الجانب؟

هذه الأسئلة كلّها هي المحاور الكبرى لهذا المقال؛ حيث سنسعى جاهدين للإجابة عنها في متن هذا العمل البحثي.

1- قراءة تحليلية للمفاهيم:

في الحقيقة لستُ بصدد التّركيز على تحديد مفاهيم المجالات المختلفة للعمل الميداني، بقدر ما سأحاول التوسّع في الطّرق المنهجية لعرضها وضبطها -ولكن هذا لا يعني أنْ أُغفلها-. وفيما يلي

تعريفات مختصرة لمجالات الدّراسة في البحث السّوسيولوجي الأكاديمي (تقرير تربص، مذكّرة ماستر، رسالة ماجستير، أطروحة دكتوراه):

1-1- المجال:

كلمة مجال مفرد مذكّر جمعه "مجالات"، وقد يرد بالمعاني التّالية:[1]

- يَعْرِفُ مَجَالَ عَمَلِهِ: أَيْ نِطَاقَهُ، مَدَاهُ.

- الْمَجَالُ الجَوِّيُّ: الفَضَاءُ.

- فِي هَذَا الْمَجَالِ: فِي هَذَا الصَّدَدِ.

- أَفْسَحَ لَهُ الْمَجَالَ: أَفْسَحَ لَهُ الطَّرِيقَ، أَعْطَاهُ الفُرْصَةَ.

- لَمْ يَتْرُكْ لَهُ مَجَالاً لِلْكَلاَمِ: حَيِّزاً. والمَجال هو موضع الجَوَلَانِ، يُقال: لم يبق له مجالٌ في هذا الأمر.[2]

أمّا في اللّغة الفرنسية فتترجم كلمة مجال إلى "ESPACE" التّي تعني: "حيز أو فضاء، مساحة، فراغ وفسحة".[3]

وفي هذا العمل البحثي سنقوم باستخدام كلمة "**مجال**" كمرادف لـ: **الحقل أو الميدان أو النّطاق أو الحيّز**.

2-1- مفهوم المجال الزّمني:

يُقصد به تلك "الفترة الزّمنية التي استغرقتها الدراسة أو البحث، وذلك منذ البدء في طرح الموضوع للدراسة والبحث حتى الانتهاء منه بشكل نهائي، وقد جرت العادة عند تحديد المجال الزمني للبحث الاقتصار على الدراسة الميدانية تحديدا، ابتدءا من النزول إلى الميدان لإجراء الدراسة الاستطلاعية، ثمّ النزول إلى الميدان لتطبيق الاستمارة التجريبية، ثم النهائية في مرحلة لاحقة...غير أن تحديد الفترة الزمنية لكلّ البحث منذ الاختيار وحتى كتابة التقرير النهائي تبقى محبّذة".[4]

---

[1] -https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/مجال

[2] - https://www.maajim.com/dictionary/مجال

[3] - جبور عبد النّور، سهيل إدريس، المنهل: قاموس فرنسي عربي (ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1986)، ص406.

[4] - غربي علي، أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية (ط2، قسنطينة: منشورات مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، 2009)، ص64.

يُقصد بالمجال الزّمني تلك "الفترة الزّمنية التّي تمّ خلالها إنجاز الدّراسة، من بداية التّفكير بالمشكلة البحثية وجمع البيانات النّظرية حولها، مرورا باستكشاف الميدان إلى مرحلة اختبار الفروض إلى كتابة التّقرير النّهائي للبحث أو الدّراسة"[1].

ونجد بعض الباحثين والأساتذة الذّين يقولون عكس ذلك؛ حين يعتبرون أنّ المجال الزّمني يرتبط بالعمل الميداني فقط؛ أي يقصدون به تلك الفترة التّي يتمّ فيها إنجاز العمل الميداني، دونما احتساب الزّمن المستغرق في إعداد وإنجاز الجزء النّظري من مرحلة التصوّر أو حتّى مرحلة التّفسير والتأويل التّي تلي العمل الميداني.

ولكنّنا نميل إلى الطّرح الأوّل الذّي يرى أنّ المجال الزّمني هو كلّ الوقت المستغرق في إنجاز العمل البحثي من بدايته حتّى إنهائه؛ والسّبب في ذلك بسيط وهو أنّ البحث السوسيولوجي -سواء كان تقرير تربّص أو مذكرة ماستر أو أطروحة دكتوراه-يشكّل كلاّ متكاملاً؛ أي لا يجب فصل جزءٍ عن جزء أو باب عن باب آخر، فهو نسقٌ متكامل في بنائه ووظيفته، كما لا يمكننا تقزيم جهد الباحث في فترة إنجاز العمل الميداني فقط.

والحديث عن الزّمن أو المجال والحيز الزمني في أيّ دراسة سوسيولوجية يقودنا إلى الحديث عن التّاريخ والعلاقة المتبادلة بينه وبين علم الاجتماع. فإذا كان التّاريخ يدرس الأحداث الإنسانية الفريدة غير المتكرّرة والمرتبطة بزمان ومكان معيّنين؛ فإنّ علم الاجتماع يدرس الأنماط المتكرّرة أو القابلة للتكرار من الأحداث والوقائع أو الظواهر الإنسانية، مع كونهما قد يتناولان الموضوع ذاته. وهناك من يقول أنّ العلاقة بينهما تختزل في كون علم الاجتماع هو تاريخ الحاضر والتّاريخ هو علم اجتماع الماضي[2].

إنّ الاختلاف الموجود بين العلمَين واضح من خلال المناهج، المنطلقات النّظرية، أدوات التّحليل وغير ذلك، إلاّ أنّنا نسير في الاتجاه الذّي يقول أنّ الدّراسات الاجتماعية هي في الأصل تقوم بالتّأْريخ لحقبة زمنية معيّنة لظاهرة اجتماعية ما، لكن ليس بسذاجة وهو الأمر الذّي يستدعي من

[1]- بلخيري مراد، استراتيجية التحفيز وتنمية الموارد البشرية (أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم اجتماع تنمية وتسيير الموارد البشرية، جامعة قسنطينة2، 2016-2017)، ص153.

[2]- عودة محمود، أسس علم الاجتماع (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، دت)، ص35.

الباحث العناية بكلّ جزئيات بحثه، فهو كاتب لتاريخ موضوعه، ما يفرض عليه أن يُولِيه عناية فائقة في التّدقيق والوصف والتّحليل، حتّى يحقّق الموضوعية المنشودة من علم الاجتماع، ويَنْؤُو بنفسه عن الذّاتية المخلّة؛ وبالتّالي أمكن الاعتماد على دراسته كدراسة سابقة عند باحثين آخرين، بثقة وأمانة.

1-2- المجال الجغرافي أو المكاني:

هناك مسلّمة في علم الاجتماع تقول أنّ "الإنسان ابن بيئته" يؤثّر فيها ويتأثّر بها، وهناك ضروب من الفعل الاجتماعي أو السّلوك الذّي تتحكّم فيه البيئة (العنف، الجريمة....)؛ أي أنّ الكلام هنا يركّز على علاقة البيئة وأهمّيتها في تفسير بعض الأفعال الاجتماعية لدى الأفراد، وهو ما يجعل من الأهمية بما كان تحديد المجال المكاني الجغرافي للدّراسة. هذا الأخير له علاقة بالإقليم الذّي يغطيه البحث[1].

والمجال المكاني -عادة ما-»يتعلّق بالمكان الجغرافي أو الجزء الذّي ستُجرى به الدّراسة الميدانية تحديدًا...؛ من خلال تحديد حدوده الجغرافية أو الطّوبوغرافية بحيث يتسنّى لأيّ شخص أن يتعرّف على المكان بسهولة ويُسْرٍ، وأن يتمكّن من الوصول إليه تبعًا لهذا التّحديد دون عناء"[2].

فهو إذن الحيّز الجغرافي أو الرّقعة التّي ستكون ميدانا لإجراء الجزء الميداني من الدّراسة السّوسيولوجية، ونتيجة أهمّية البيئة في التأثير على الأفراد والجماعات، وعلاقتها بالفعل الاجتماعي؛ حيث أنّ البيئة تتحكّم في كثير من الأحيان في الأفعال والسّلوكات الاجتماعية، كان من الضّروري على الباحث ضبط وتحديد المجال المكاني للحيّ، المدينة، المؤسّسة والمجتمع...، أو أيّ مجال جغرافي قد يكون حقلا لدراسته؛ من خلال توضيح حدوده الجغرافية (الموقع والمساحة)، وتاريخه.

[1]- أنجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية (ط2، تر: صحراوي بوزيد وآخرون، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2006)، ص74.

[2]- غربي علي، مرجع سابق، ص64.

باختصار يجب على الباحث السّوسيولوجي أن يقوم بالتّعريف الدّقيق للمكان الذّي سيجري فيه دراسته، ويعرف أغلب الأمور المتعلّقة به، ويقوم بوصفه وصفا دقيقًا؛ من خلال الإلمام بقيمه، الأعراف التّي تسوده، العادات والتّقاليد أو بالأحرى ثقافته وثقافة الأفراد المكوّنين لمجتمع البحث، وكذا النّظام أو الأنظمة التّي تحكم أعضائه سواء كانت رسمية (قوانين داخلية، وتشريعات عمل...) أو غير رسمية...؛ وذلك لأنّ بحثه يندرج ضمن البحوث الإثنوغرافية التّي تدرس الجماعات الصّغيرة.

ويمكن أن يستعين الباحث في ذلك بالجهات الرّسمية لتحديد المكان جغرافيا كالمصالح البلدية، إدارة المؤسّسة أو أيّ جهة رسمية لديها المعلومات حول المكان أو أن يعتمد على ملاحظاته الشّخصية، كما يمكنه اللّجوء إلى التّكنولوجيات الحديثة مثل: Google Earth لمعرفة الحدود الجغرافية وطوبوغرافية المكان، وقد يدعّم وصفه بصورة عبر القمر الصّناعي للمكان بإرفاقها في قائمة الملاحق وما إلى ذلك.

1-3- المجال البشري:

إنّ الباحث في علم الاجتماع يركّز على دراسة مجتمعات بعينها، وهذه الأخيرة تفرضها طبيعة الموضوع. ومن خلال تحديد المجال الجغرافي يمكن للباحث التعرّف على المجال البشري أو مجتمع البحث الكلّي، "ويتضمّن تحديد المجال البشري كل ما يتعلّق بخصائص ومواصفات العينّة"[1].

ويتمّ في هذا العنصر (المجال البشري) سيقوم بجمع المعلومات الخاصّة بكلّ البشر الذّين ينتمون لمجاله الجغرافي، وذلك من خلال التعرّف على خصائصهم ومواصفاتهم من حيث: الجنس، السنّ، المستوى التعليمي، الحالة الاجتماعية، مكان سكنهم، أجورهم إذا كانوا عمّالا...، وهو ما يصطلح عليه علماء الإحصاء "**المجتمع المعلوم**". فإذا كان المجال الجغرافي لبحث ما هو مؤسّسة صناعية فالمجتمع هنا معلوم، ولا يمكن للباحث أن يكتفي بعدد أفراد مجتمع البحث دونما الإلمام بخصائصهم؛ لأنّ ذلك سيؤثّر لاحقا في تصميم العيّنة.

والباحث عندما يختار ظاهرة ما للدّراسة، فإنّه باختياره هذا قد حدّد ما يسمّى: "عالم البحث" أو "مجتمع البحث"، أو "المجتمع الأمّ"، والذّي يعبّر عن مجموع الأفراد أو الأشياء والتّي

[1]- المرجع نفسه، ص65.

تمثّل الوحدات الأساسية التّي يجري عليها التّحليل[1]. ومجتمع البحث هو جميع مفردات الظّاهرة التّي يدرسها الباحث، وبذلك فإنّ مجتمع الدّراسة هو "جميع الأفراد أو الأشياء الذّين يكوّنون موضوع مشكلة الدّراسة"[2].

إنّ معرفة ودراية الباحث بمكوّنات مجتمعه وبنياته تساعده على التّحليل فيما بعد، وكذا التّفسير الذّي يرتبط بذلك المجتمع وخصوصيته دون غيره من المجتمعات الأخرى، وهو الأمر الذّي يسمح له ويساعده في تعميم نتائج بحثه على بقية المجتمعات التّي لها خصائص ذلك المجتمع ذاتها.

2- موقع مجالات الدّراسة وحدودها من هيكل البحث:

يبقى الغرض من التطرّق إلى هذا العنصر هو تبيان توجّهات منهجية قد تختلف في شكلها ولكنّ جوهرها واحد، فمن الناحية البنائية الوظيفية، تلك العناصر لها طريقة لعرضها –كما سبق ذكره-ولها وظيفة معيّنة في البحث السّوسيولوجي؛ ولكن قد يختلف الباحثون في موضعها ضمن خطّة البحث العامة.

سنتكلّم هنا عن نموذجين شهيرين في المنهجية؛ الأوّل هو: نموذج مدرسة **شيكاغو** CHICAGO، والثاني هو: نموذج أو طريقة **إمراد** IMRAD. ففي نموذج شيكاغو أو الطّريقة الكلاسيكية تكون مجالات الدّراسة ضمن فصل خاص، عادة ما يحمل عنوان إجراءات الدّراسة أو الإطار المنهجي للدّراسة، وهذه الطريقة الأكثر شيوعا في البحوث السّوسيولوجية الأكاديمية لبساطتها، وضوحها وسهُولتها، هذه الطريقة تستخدم عادة في البحوث الميدانية كبيرة الحجم أو التّي يفوق حجمها 500 صفحة.

[1]- سبعون سعيد، جرادي حفصة، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2012)، ص133.

[2]- ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه (عمان: دار الفكر، 2001)، ص131.

مثال:[1]

الفصل الخامس: الإجراءات المنهجية للدّراسة	
تمهيد.....	149
1- فرضيات الدّراسة.....	150
1-1- الفرضية الرّئيسية.....	151
1-2- الفرضيات الفرعية.....	151
2- مجالات الدّراسة.....	153
2-1- المجال الزّمني.....	153
2-2- المجال الجغرافي.....	154
2-3- المجال البشري.....	159
3- العيّنة.....	163
4- المنهج المستخدم.....	173
5- أدوات جمع البيانات.....	174
6- المعالجة الإحصائية للبيانات.....	182

أمّا في البحوث والدّراسات الميدانية صغيرة الحجم (مقالات، تقارير تربّص...)، هناك طريقة أخرى لعرض المجالات أو حدود الدّراسة، وذلك من خلال دمج الفصل المفاهيمي والفصل المنهجي مع بعضهما البعض، وهي طريقة -نوعا ما-صعبة؛ حيث يقوم فيها الباحث بالدّمج بين ما هو نظري وما هو ميداني في محاولة لخلق توليفة منهجية تمكّنه في النّهاية من إخراج عمل متناسق ومتكامل، لا يظهر فيه الفصل بين ما هو نظري وما هو ميداني، حتّى الجداول التكرارية أو الإحصائية لا تدرج ضمن المتن بل تكون في الملاحق فقط.

[1]- أنظر: بلخيري مراد، مرجع سبق ذكره.

مثال:[1]

٦.	الفصل الأول	١
٧.	المقدمة	٢
٨.	مشكلة الدراسة	٣
٩.	أهمية الدراسة	٣
١٠.	تساؤلات الدراسة	٤
١١.	أهداف الدراسة	٤
١٢.	حدود الدراسة	٤
١٣.	مفاهيم الدراسة	٥

إذن يمكن أن تكون مجالات وحدود الدّراسة في بداية البحث ضمن الفصل الأوّل أو المقدّمة العامّة، كما قد تكون في فصل مستقلّ يستهلّ به الباحث دراسته الميدانية، وذلك تبعا للطريقة التّي اختارها الباحث في هيكلة بحثه وكتابته.

3- ملاحظات منهجية حول بعض النّماذج المنتقاة:

سأقوم في هذا العنصر بعرض مجموعة من النّماذج التطبيقية، لتقارير مختلفة (ليسانس، ماستر، ماجستير ودكتوراه)، مع العمل على إبداء ملاحظات منهجية وشكلية حولها، بالتركيز على مجالات الدراسة – طبعا -.

[1]- عبد المحسن بن عمار المطيري، العنف الأسري وعلاقته بانحراف الأحداث لدى نزلاء دار الملاحظة الاجتماعية بمدينة الرياض (رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2006).

3-1- النّموذج الأوّل:[1]

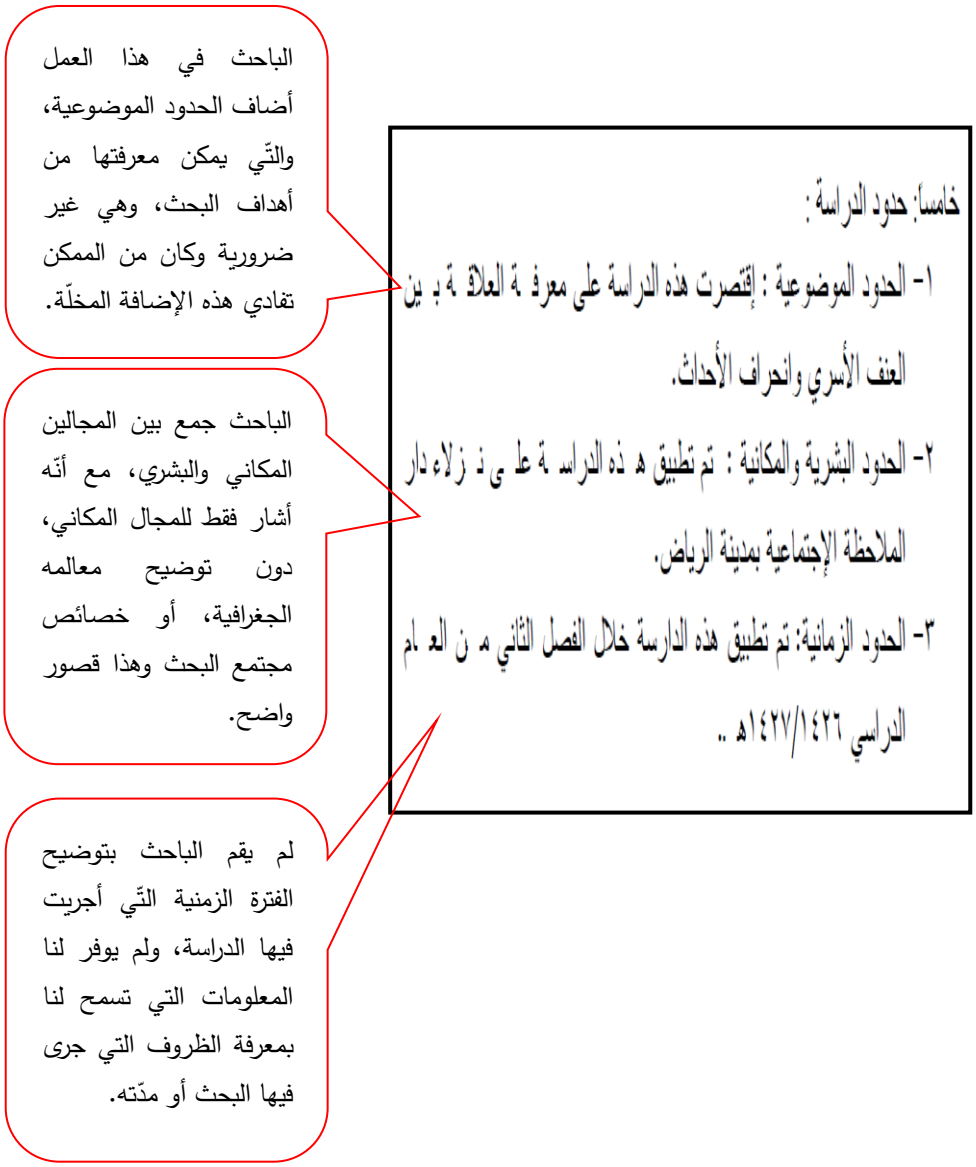

الباحث في هذا العمل أضاف الحدود الموضوعية، والتّي يمكن معرفتها من أهداف البحث، وهي غير ضرورية وكان من الممكن تفادي هذه الإضافة المخلّة.

الباحث جمع بين المجالين المكاني والبشري، مع أنّه أشار فقط للمجال المكاني، دون توضيح معالمه الجغرافية، أو خصائص مجتمع البحث وهذا قصور واضح.

لم يقم الباحث بتوضيح الفترة الزمنية التّي أجريت فيها الدراسة، ولم يوفر لنا المعلومات التي تسمح لنا بمعرفة الظروف التي جرى فيها البحث أو مدّته.

[1]- المرجع نفسه، ص4.

2-3- النّموذج الثاني:[1]

4- حدود الدّراسة:

4-1- الحدود الجغرافية: أجريت هذه الدّراسة في مؤسّستين صناعيّتين جزائريّتين، إحداهما عمومية وهي: مؤسّسة صناعة أنابيب الزّي الزّراعي ذات أسهم (وحدة أنابيب)، أمّا الثّانية فهي: مؤسّسة كوندور إلكترونيكس ذات أسهم (وحدة المكيفات والغسالات)، وهي مؤسّسة خاصة؛ وذلك قصد إعداد دراسة مقارنة، نظرًا لوجود تجانس بينهما من حيث عدد العمّال طبيعة النّشاط والموقع الجغرافي...إلخ.

وسيتم استخدام مفهوم المؤسّسة العمومية للتّعبير عن مؤسّسة صناعة أنابيب الزّي الزّراعي ذات أسهم (وحدة أنابيب)، واستخدام عبارة المؤسّسة الخاصّة بدلا من مؤسّسة كوندور إلكترونيكس ذات أسهم (وحدة المكيفات والغسالات).

4-2- الحدود الزّمنية: استغرق الدراسة الميدانية من الباحث مدّة 7 أشهر (من أفريل إلى أكتوبر 2013)، حاول فيها جمع أكبر قدر من البيانات المتعلّقة بالمؤسّستين (نشأتهما، تقسيمهما، عدد العاملين فيهما وتوزيعهم حسب الفئات والأعمار والجنس...)، وتوزيع الاستبانة على المبحوثين بمساعدة أحد الإطارات من المؤسّسة العمومية، والمسؤولة عن التكوين والتربصات في المؤسّسة الخاصة، وأحد مسيري الموارد البشرية.

4-3- الحدود البشرية: يشتغل في المؤسّسة الخاصة 251 عاملا، أمّا المؤسّسة العمومية فيشتغل فيها 226 عاملا، موزّعين حسب الفئات السوسيومهنية، كما هو موضّح في الجدول الموالي:

نلاحظ أنّ الباحث هنا لم يصف بدقّة كبيرة المجال الجغرافي لدراسته، بل ركّز على تسمية المؤسسات التي جرت فيها الدراسة الميدانية، كونها مشهورة في الجزائر، مع تبرير سبب اختيارها دون غيرها.

أمّا الحدود الزمنية فهي مضبوطة بكل مقنع، وضّح فيها المدّة المستغرقة في إنجاز بحثه، مركّزا على الفترة التي نزل فيها إلى الميدان دون الحديث عن المدّة الزمنية التي أنجز فيها الجزء النظري.

نلاحظ أنّ الباحث قد حدّد المجتمع الكلّي للبحث في المؤسّستين مجال الدراسة؛ وهو ما يجعل من المجتمع مجتمعا معلوما وواضح المعالم، ما جعله يوضّح خصائصه حسب الفئات السوسيومهنية تبعا للحاجة.

[1]- أنظر: بلخيري مراد، "أثر إستراتيجية التّحفيز المعنوي على تنمية الموارد البشرية في المؤسّسة الصّناعية الجزائرية"، **مجلة الباحث الاجتماعي**، قسم علم الاجتماع، قسنطينة2، ع12، ربيع2016.

3-3- النّموذج الثّالث:*

1- المجال الجغرافي: يقصد بالمجال الجغرافي النطاق المكاني لإجراء البحث الميداني أُجريت هذه الدراسة بمؤسسة الجرارات و المحركات و المعروفة بالسوناكوم و التي تقع في ولاية قسنطينة بمنطقة واد حميميم.

إن مركب المحركات و الجرارات مؤسسة عمومية اقتصادية أُنشأت عام 1969/04/19م بعدما حصلت على الترخيص من الشركة الألمانية (Diaghhd) و هذا في إطار المفتاح في اليد،

و المركب أُنشأ لصناعة الجرارات الزراعية و المحركات لكل الآلات مثل الشاحنات و الرافعات

و آلات الحصاد.

و قد تم هيكلة هذه المؤسسة عام 1987 من المؤسسة الأم LENPMA و هذه الأخيرة انبثقت من السوناكوم عام 1982 و قد أصبح يرمز لها ب CMT أي مركب الجرارات و المحركات و يضم مجموعة كبيرة من المديريات الفرعية و هي

- مديرية الإنتاج
- مديرية التسويق
- مديرية المحاسبة
- مديرية البيع و الشراء
- مديرية الموارد البشرية
- مديرية الدراسات و التخطيط
- مديرية الصيانة
- مديرية الإدارة العامة
- مديرية مراقبة التسويق
- مديرية مراقبة التسويق
- مديرية نظام المعلومات
- مديرية الصحة و الأمن

كما يحتوي المركب على خمس وحدات كبرى للإنتاج و تقدر مساحة هذا المركب بحوالي 102 هكتار و 43 آر و 21 سنتآر و هذا حسب المخطط المحضر من قبل الخبير العقاري زغبلس إسماعيل يوم 14 أفريل 2001

إذا لاحظنا جيّدا ما جاء في هذا العنصر، نجد أنّ الباحث لم يقم فعليا فتحديد المجال الجغرافي تحديدا يسمح للقارئ أو أي شخص آخر التعرف عليه بسهولة ويسر –كما قلنا آنفا–، فالشيء الوحيد الذي قاله هو أنها تقع في ولاية قسنطينة بمنطقة واد حميميم. وهنا يمكن أن نسأل هل هذه وحدة الخروب؟ أم وحدة الكيلومتر الرّابع (Quatrieme)؟ وهل هذه المنطقة بعيدة عن مركز المدينة أم قريبة؟ في منطقة ريفية أو حضرية؟...

إلاّ أنّه وفق – إلى حدّ كبير– في التعريف بالمؤسّسة حقل الدّراسة.

* - رسالة ماجستير لم تذكر تفاصيلها تفاديا للتّشهير أو التّجريح.

2- المجال البشري:

«يعتبر المجال البشري للدراسة المجتمع الأصلي الذي تطبق على أفراده مختلف الوسائل لجمع البيانات الموضوعية و الواقعية منهم، حيث أن مجتمع الدراسة هو مجموعة منتهية أو غير منتهية من العناصر المحدودة من قبل، و التي تكون مجالات للملاحظة»[1]

و حتى تكون الدراسة علمية و عملية و لكي يصل الباحث إلى نتائج واقعية و موضوعية لابد من تحديد المجتمع الأصلي للدراسة تحديدا دقيقا، وواضحا حيث يسمح بتحديد العينة المطلوبة للاختيار و بجمع المعطيات من أفرادها عن طريق استخدام الوسائل و الأدوات المناسبة أما مجتمع الدراسة الذي نعمد إلى جمع المعلومات منه هم الإداريين و التقنيين و العمال لمركب الحراث و المحركات بالسوناكوم حيث يبلغ عدد الإداريين حوالي 170 من بينهم 39 امرأة أما التقنيين فإن عددهم هو 158 من بينهم 15 امرأة، كما يبلغ عدد العمال حوالي 1058 من بينهم حوالي 48 امرأة.

في الواقع أنّ مجتمع البحث معلوم، وفي التّعريف يقول الباحث أنّه مجموعة منتهية؛ أي معروفة بدايته ونهايته.

قام الباحث بتقديم معلومات عن توزيعهم حسب تخصّصات معيّنة مع تقديم عدد الإناث، ولكن دونما حساب النسب المئوية التي تسمح له فيما بعد باشتقاق العينة بكلّ يسر. علما أنّ هذه المعلومات حول المجتمع غير كافية....

3- المجال الزمني:

و يقصد به الوقت الذي استغرقته هذه الدراسة الميدانية حيث بلغت مدة إجراء الدراسة و ما يقارب شهر من الزمن، ذلك أن الزيارات كانت تتم في الفترات المسائية و قد مرت فترة إجراء هذه الدراسة بثلاث مراحل موزعة كالتالي:

أ- المرحلة الأولى:

و هي عبارة عن جولات استطلاعية متقطعة استغرقت ثلاث أيام من 22 إلى 2007/04/24 تم خلالها التعرف و ضبط النشاط و معينة طرق التسيير في المؤسسة و استعمالنا لأهم المشاكل التي يعاني منها الموظفون و العمال كما سمحت لنا هذه الدراسة الاستطلاعية جمع المعلومات الكافية عن مجال الدراسة، كما اتفقنا مع المسؤولين على فترة زمنية للإجراء الدراسة و تطبيق الاستبيان على العينة المدروسة.

ب- المرحلة الثانية:

و استغرقت من 2007/04/28 إلى 2007/05/05 حيث تم تجريب الاستمارة في شكلها النهائي بعد إدخال بعض التعديلات عليها و لم يكن تطبيق الاستمارات عن طريق توزيعها و لكن عن طريق مقابلتهم إما فرديا أ جماعيا حتى يتسنى لنا التعرف أكثر عن المبحوثين و توضيح أي سؤال لا يفهمه المبحوثين خاصة بالنسبة للعمال لأن مستواهم الدراسي دون المتوسط.

اقتصر الباحث عند تحديد المجال الزمني لدراسته على الفترة التي أجرى فيها الدراسة الميدانية دون أن تذكر تلك التي استغرقها إنجاز الجانب النظري.

والملاحظ يرى أنّ الجولات الاستطلاعية لم تتعدّ 3أيام، وهذا غير كاف تماما لجمع معلومات كافية عن مجتمع البحث وميدان الدراسة...

ثمّ أسبوع لتجريب الاستبيان الذّي تحوّل فجأة إلى دليل مقابلة...

إذن كل الوقت هو 10 أيّام، وهذه مدّة غير كافية تماما لأيّ باحث لإنجاز دراسته الميدانية.

3-4- النّموذج الرّابع:*

5 ــ الإجراءات المنهجية للدراسة

5ــ1 المجــال المكانــي للدراســة

يتطلب كل بحث ميداني التعريف بالمجال المكاني الذي سيجرى فيه هذا البحث، غير أننا تفاجأنا بمقر جمعية ضحايا الإرهاب في ولاية بسكرة وهو الذي يشكل المجال المكاني لدراستنا، حيث كنا نتوقع أن الجمعية تملك مقرا خاصا بها لكن الأمور كانت مخالفة لذلك تماما . وفيما يلي نوجز أهم المعلومات الخاصة بجمعية ضحايا الإرهاب التي تم في إطارها إنجاز هذه الدراسة .

- يوجد مكتب جمعية ضحايا الإرهاب في مقر ولاية بسكرة، وهو عبارة عن مكتب صغير جدا لا تتعدى مساحته 16 مترا مربعا يلتقي فيه أعضاء المكتب الإداري للجمعية مع ضحايا الإرهاب يومي الاثنين والأربعاء من كل أسبوع ابتداء من الثامنة صباحا وحتى منتصف النهار، خلال هذه اللقاءات يطرح ضحايا الإرهاب انشغالاتهم فيما يطلعهم المكتب الإداري للجمعية على كل المستجدات التي تتعلق بقضيتهم .
- أنشأت جمعية ضحايا الإرهاب في جويلية 1994م، وتحولت إلى منظمة وطنية بتاريخ 11 نوفمبر 1999م .
- تتكون الجمعية من 15 عضوا موزعين على النحو التالي :
- أمين ولائي عام .
- أمين ولائي مكلف بالتنظيم والتنسيق .

✍ في هذا البحث لم يقم الباحث بالتفريق والفصل بين مجالات دراسته؛ حيث دمجها جميعا ضمن المجال المكاني الذّي لم يعطه حقّه من الوصف والتدقيق...

✍ كما يمكن القول أنّ الباحث لم يستطع تحديد المجال البشري لدراسته، كون مجتمعه غير معلوم فحدوده غير واضحة؛ حيث أنّ ضحايا الإرهاب هم كلّ الضحايا في ولاية بسكرة، وقد لا يكونون منتمين للجمعية جميعهم.

✍ وهو لم يتمكّن من ضبط مختلف المجالات سواء الجغرافي (قرى، بلديات، دوائر....)، أو البشري كلّ ضحايا الإرهاب (مباشر– غير مباشر../ أعضاء الجمعية... أو شيئاً آخر...)

* - لم تُذكر تفاصيلها تفاديا للتّشهير أو التّجريح.

- أمين ولائي مكلف بالإدارة .
- أمين ولائي مكلف بالمتابعة النفسية والإدماج الاجتماعي .
- أمين ولائي مكلف بالإعلام والاتصال .
- أمين ولائي مكلف بالأبحاث والدراسات التاريخية .
- أمين ولائي ثاني مكلف بالأبحاث والدراسات التاريخية .
- أمين ولائي مكلف بالمالية والممتلكات .
- أمين ولائي مكلف بالشؤون الاجتماعية .
- أمين ولائي مكلف بالشؤون الاجتماعية والتضامن .

- أمين ولائي مكلف بالثقافة والتكوين .
- ثلاثة أمناء ولائيين .

دامت الدراسة الميدانية حوالي سنة حيث قمنا خلال هذه الفترة بإجراء زيارات متكررة ومقابلات عديدة مع الأمين العام لجمعية ضحايا الإرهاب في ولاية بسكرة حتى نجمع أكبر قدر ممكن من المعلومات لكي تكون لنا رؤية واضحة عن ضحايا الإرهاب الذين يمثلون موضوع دراستنا ، وقد كانت لنا مقابلات معهم تمكنا من خلالها من تدوين بعض الملاحظات حول هذه الفئة، كما قمنا في البداية بتجريب عشرة استمارات قصد التأكد من قدرة المبحوثين على فهم الأسئلة وإمكانية إجابتهم عليها. ولأن ضحايا الإرهاب تجاوبوا مع أسئلة الاستبيان بشكل جيد تم إعادة توزيعها على 30 فردا من ضحايا الإرهاب الذين يمثلون عينة بحثنا . وقد استغرقت إجابة المبحوثين على أسئلة الاستمارة حوالي شهـــر (طيلة شهر ماي 2010م) .

✍ والملاحظ دائما للمجال المكاني أو البشري يجد أنّه يتحدّث عن أعضاء الجمعية؛ وكأنّهم هم المعنيّون بالبحث (مجتمع البحث).

✍ ولكن بعد توضيح المجال الزمني للبحث (حوالي سنة) وهي غير محدّدة سواء بدايتها أو نهايتها. نجد أنّ الباحث يخبرنا أنّ عينته هي من ضحايا الإرهاب المنضوين تحت لواء الجمعية، وأخذوا منها عينة تتألّف من 30 مبحوثا.

✍ ولاحقا يخبرنا أنّ عينته قصدية، ولا تتطلب التمثيل لأنّ المجتمع من البداية **مجتمع غير معلوم**؛ وهو ما جعل الباحث يقع في الخلط والزّلل في ضبط مجالات دراسته، فكان الأولى تحديد المجال المكاني (بلديات، مقر الولاية..)، أو إجراء بحث وثائقي على ملفات ضحايا الإرهاب لدى الجمعية.

3-5- النّموذج الخامس:

2-مجالات الدراسة:

لقد تمت هذه الدراسة في إطار حدود زمنية، مكانية وبشرية، تظهر فيما يلي:

2-1-المجال الزمني:

لقد تمت هذه الدراسة من بداية شهر جانفي مع الأستاذ المشرف لإعداد الجانب النظري للدراسة وشهدت هذه الفترة تواصلا دائما مع المشرف، ودامت حوالي أربعة أشهر أي من جانفي إلى أفريل، أمّا الدراسة الاستطلاعية فقد بدأت من شهر أفريل 2017 من خلال الزيارات المتعددة والمقابلات مع المدير لتزويدنا بالمعلومات الخاصة بالمؤسسة، وبعد تحديد العيّنة قمنا بعملية تصميم الاستبيان وتحكيمه وتوزيعه.

أما المدّة الممتدّة من منتصف أفريل إلى بدايات شهر جوان قمنا بجمع الاستبيانات من المبحوثين، والعمل على تفريغها في جداول، ثمّ تحليل البيانات الميدانية إحصائيا وسوسيولوجيا، لتتمّ بعدها عملية الطّبع، المراجعة والتصحيح إلى الإخراج النهائي للعمل.

2-2-المجال المكاني:

كانت ثانوية "صاهد مبارك" الواقعة في دائرة الحمادية بولاية برج بوعريريج، مجالا للدراسة الميدانية، ولقد وجدنا كلّ الدّعم من قبل الثانوية من خلال المدير والعمال والأساتذة لاستقبالنا وتوجيهنا وتزويدنا بالمعلومات الضرورية حول الثّانوية.

تأسّست ثانوية صاهد مبارك المتواجدة في دائرة الحمادية ولاية برج بوعريريج، بتاريخ 27-09-1988، ونظام الدّراسة فيها نصف داخلي، والنمط (داخلي، نصف داخلي) ورقم التعريف الوطني 3856، وتبلغ مساحتها الإجمالية 30954 م.

وفيما يلي بطاقة فنية للمؤسسة (الثانوية):

يتكون الهيكل التنظيمي الخاص بالثانوية من 22 حجرة للدّراسة وثلاث ورشات ومخبرين علميين، وعدد السكنات الإلزامية أربعة والمشغولة واحدة، وفيها مطعم واحد.

يحدّ ثانوية صاهد مبارك من الشمال مركز التكوين المهني والتمهين ومن الجهة الجنوبية الطريق العمومي الرئيسي، ومن الغرب مركز الصحة الجواري فرع الحمادية ومقر الدائرة، أما من الشرق فرقة الدرك الوطني.

✍ نلاحظ أنّ الباحث هنا وفّق إلى حدّ كبير في تحديد المجال الزمني لبحثه؛ حيث أنّه جمع كل الفترة التي استغرقها البحث من النظري إلى الميداني (الخرجات الاستطلاعية، الزيارات المتكرّرة للمكان، إجراء المقابلات، اختبار الاستبيان إلى توزيعه

✍ كما يمكن القول أنّ الباحث وفّق أيضا في تحديد وضبط المجال الجغرافي لدراسته؛ حيث حاول وصف المكان بشيء من التفصيل، الذّي يسمح لأيّ شخص التعرّف على الثانوية دون أيّ عناء.

✍ كما أعطى الحدود الجغرافية للمكان من الشمال، الجنوب، الشرق والغرب.

2-3-المجال البشري:

تتكون ثانوية صاهد مبارك من: 16 إداري و18 عامل و45 أستاذا وأستاذة، أما عدد التلاميذ الذين يدرسون فيها فهو 433 تلميذ.

الجدول رقم 01 : يمثل توزيع مجتمع الدراسة .

الفئات	التكرار	النسبة
أساتذة	45	%8.70
إداريين	19	%3.68
عمال	20	%3.87
تلاميذ	433	%83.75
المجموع	517	%100

نلاحظ من خلال الجدول (01) الذي يمثل مجتمع الدراسة للمؤسسة أن عدد التلاميذ هو الأكبر وبنسبة 83.75%، وهذا أمر طبيعي في المؤسسة التربوية، ويليها الأساتذة بنسبة 8.70% ثم يليها العمال بنسبة 3.87%، وأخيرا الإداريين بنسبة 3.68%.

الجدول رقم 02 : توزيع المجال البشري للمؤسسة (الثانوية) حسب الفئات والجنس.

الفئات		التكرار	النسبة المئوية	
أساتذة	ذكر	22	45	%4.26	%8.70
	أنثى	23		%4.45	
موظفين	ذكر	33	39	%6.38	%7.54
	أنثى	06		%1.16	
تلاميذ	ذكر	184	433	%35.59	%83.75
	أنثى	249		%48.16	
المجموع		517		%100	

نلاحظ من خلال الجدول أعلاه الذي يمثل المجال البشري للمؤسسة أن عدد التلاميذ هو الأكبر وبنسبة 83.75%، وهذا أمر طبيعي في المؤسسة منقسما بين الذكور بنسبة 35.59%، والإناث بنسبة 48.16%، ثم تليها الأساتذة بنسبة 8.70% منقسمين بين الإناث والذكور، حيث الإناث أكبر نسبة على الذكور بنسبة 4.45% والذكور بنسبة 4.26%، وأخيرا الموظفين بنسبة 7.54% منقسمين بين الإناث بنسبة 1.16% والذكور بنسبة 6.38% .

✍ لقد حاول الباحث تحديد المجال البشري لدراسته، وهو عبارة عن ذلك المجتمع الذّي يوجد ضمن النطاق الجغرافي أو الحيز المكاني ككلّ، والذّي يمثّل 517 مفردة.

✍ قام الباحث بعرض مجتمع بحثه حسب المكوّنات المختلفة له؛ والسّبب أنّ هذا المجتمع "مجتمع معلوم"، أي أنّ معالمه واضحة وحدوده كذلك. لذلك قام بعرض توزيع مفردات المجتمع الكلّي حسب الفئات وحسب الجنس.

✍ وكان من المفروض توزيعهم حسب الجنس، وباقي الخصائص العامة؛ ولكن ذلك يبقى حسب الحاجة، لأنّ اختيار العينة يصبح مرتبطا ارتباطا وثيقا بخصائص المجتمع المعلوم حتى تكون ممثّلة له

خلاصة:

بعد تناولنا لبعض الطّرق المنهجية (طريقتا: "شيكاغو" و"إمراد") في كتابة وعرض مجالات الدّراسة في البحوث السّوسيولوجية الأكاديمية، يمكن الإقرار بالتنوع المنهجي في هذا الصدد؛ حيث أنّ الباحث يملك الحريّة التّامة في تبنّي أيّ طريقة -سواء ممّا ذكرت أو أخرى لم أذكرها هنا (طريقة هارفارد مثلا)- شرط الالتزام التام بمبادئها والعمل على تطبيقها بطريقة سليمة، وكذا تفادي الخطأ والخلط الذّي قد يؤثّر سلبا على نتائج بحثه وعلى من سيعتمد عليها لاحقا من الباحثين الذّي قد يتّخذون منها دراسة سابقة.

وممّا يمكن استخلاصه أيضا هو أنّ مجالات البحث ترتبط ارتباطا وثيقا بالتّاريخ من جهة؛ حين يقوم الباحث بالتأريخ وكتابة تاريخ الظاهرة أو مجتمع البحث أو المؤسّسة بطريقة غير مباشرة، وهو ما يحتّم عليه العناية بتقديم مجالات دراسته بشكل منهجي وموضوعي، بعيدا عن التحريف والتّزوير. كما يرتبط أيضا بالجغرافيا والبيئة من جهة أخرى؛ نظرًا لعلاقة الفرد بالبيئة والتفاعل المتبادل بينهما وما ينتج عن ذلك من تأثير وتأثّر ينعكس على الفعل والسلوك الاجتماعي..، بالإضافة إلى الثّقافة ومكوّناتها، والتّي لها أثر بالغ في مختلف المجالات، وفي بناء العمل البحثي السوسيولوجي، وخاصة الأكاديمي، كما تؤثر خصائص ذلك المجتمع الذّي يشكّل حقلا للدراسة، في العمل عمومًا.

وعليه فالإلمام بمختلف مجالات البحث تساعد الباحث على التّحليل وكشف ضروب الفعل الاجتماعي المختلفة التّي قد تكون منتشرة في ذلك المجتمع سواء أكان مجتمعا معلوما أو مجهولا، وكذا تسهيل قراءة البيانات التّي قام بجمعها وتفسيرها أو تأويلها، وبالتّالي إثراء موضوعه نظريّا وميدانيا (إمبريقيًا).

*** المراجع:**

1. أنجرس موريس، منهجية البحث العلمي في العلوم الإنسانية: تدريبات عملية (ط2، تر: صحراوي بوزيد وآخرون، الجزائر: دار القصبة للنشر، 2006).

2. بلخيري مراد، "أثر استراتيجية التّحفيز المعنوي على تنمية الموارد البشرية في المؤسّسة الصّناعية الجزائرية"، **مجلة الباحث الاجتماعي**، قسم علم الاجتماع، قسنطينة2، ع12، ربيع2016.

3. بلخيري مراد، استراتيجية التحفيز وتنمية الموارد البشرية (أطروحة دكتوراه غير منشورة في علم اجتماع تنمية وتسيير الموارد البشرية، جامعة قسنطينة2، 2016-2017).

4. جبور عبد النّور، سهيل إدريس، المنهل: قاموس فرنسي عربي (ط2، بيروت: دار العلم للملايين، 1986).

5. ذوقان عبيدات وآخرون، البحث العلمي مفهومه وأدواته وأساليبه (عمان: دار الفكر، 2001).

6. سبعون سعيد، جرادي حفصة، الدليل المنهجي في إعداد المذكرات والرسائل الجامعية في علم الاجتماع (الجزائر: دار القصبة للنشر، 2012).

7. عبد المحسن بن عمار المطيري، العنف الأسري وعلاقته بانحراف الأحداث لدى نزلاء دار الملاحظة الاجتماعية بمدينة الرياض (رسالة ماجستير غير منشورة في العلوم الاجتماعية، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، الرياض، 2006).

8. عودة محمود، أسس علم الاجتماع (بيروت: دار النهضة العربية للطباعة والنّشر، دت).

9. غربي علي، أبجديات المنهجية في كتابة الرسائل الجامعية (ط2، قسنطينة: منشورات مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، 2009).

10.https://www.almaany.com/ar/dict/ar-ar/مجال

11.https://www.maajim.com/dictionary/مجال

.